اضطراب القيم وتفكك النسيج الاجتماعي

Value disorder and disintegration of the social fabric

أ. عبد الرحمن علي الزرقاني[*(1)]
aaalzargani@elmergib.edu.ly
جامعة المرقب – ليبيا

تاريخ الاستلام: 2019/09/06 تاريخ القبول للنشر: 2019/12/17

ملخص:

هدفت هذه الدراسة للوقوف على ما قد يؤثره اضطراب القيم من تفكك لنسيج مجتمعنا الليبي، وهذا لن يتأتى لنا في كثير من الأحيان إلاّ باستخدام المنهج الفلسفي، وذلك بالدخول إلى أروقة فلسفة الأخلاق لمعرفة كيفية تأثير اضطراب الميزان القيمي الأخلاقي على نسيج المجتمع، وفي سبيل الوصول إلى هذا الهدف اعتمد الباحث على المنهج التحليلي، حيث توصل إلى أن ضمان المحافظة على نسيج مجتمعنا الليبي لن يكون في مأمن إلاّ إذا تكاتفت جهود أهم المصادر التربوية في مجتمعنا لتهيئة النشء على ضبط الميزان القيمي، والذي يعتبر الضامن الحقيقي في ترسيخ قيم مجتمعنا من خلال مصادر التنشئة التي اعتبرتها هذه الدراسة أكثر المصادر ترسيخاً وضبطاً للميزان القيمي.

الكلمات المفتاحية: الميزان القيمي، اضطراب القيم، نسيج المجتمع، تفكك، مصادر التربية.

Abstract:

The purpose of this study is to investigate the impact of the social values disorder on the social fabric in the Libyan society.

In order to achieve the study objectives the analytical approach was used.

The study findings indicated that ensuring the preservation of the fabric of the Libyan society will not be secure unless the efforts of the most important educational sources in our society are combined to prepare young people to adjust the balance of values.

***Key words*:** value balance, values disorder, social fabric, disintegration, sources of education.

* أ. عبد الرحمن علي الزرقاني.

الإطار المنهجي للبحث:

1.1. المقدمة:

ربما يكون الخوض في مسألة اضطراب القيم وكيفية تأثيرها في تفكك نسيج المجتمع أمراً شائكاً تحكمه عوامل عدة، لا يمكن حصرها وتحديدها في ورقة بحثية واحدة، غير أن المسألة في هذا المضمار لا تتعلق بمجرد حصر لعدت عوامل في دراسة ما، لتقوم الدراسة بالمرور على العوامل التي كانت تتبناها بشيء من الإيجاز، إنما يتعدى هدف هذه الدراسة حدود تلك النمطية من الدراسات، تلك الدراسات التي تعتمد على وضع عدد من العوامل قد تكون مؤثرة في تفكك نسيج المجتمع، متبعة في ذلك أسلوب إدراج النقاط والسرد، والتي غالباً ما قد نجد فيها ترابطاً بسيطاً بين تلك العوامل وبين تفكك النسيج الاجتماعي، أو ربما لا نجد هناك أي ترابط، المهم في الأمر أن العلاقة في مثل هذه الدراسات لا تتعدى كونها طريقة تقريرية، لدلك فإنه نتيجة لخطورة هذه المشكلة يجب أن ترتقي هذه العلاقة إلى مستوى يصل إلى درجة التحليل الذهني المرتبط ارتباطاً منطقياً وعلمياً بتلك النظريات العلمية التي خاضت في هذا المجال، والملامسة للواقع المعاش بشكل مباشر.

وعليه فقد ركزت هذه الدراسة على عرض أهم المؤشرات التي تؤدي إلى الاضطراب القيمي، والتي من شأنها أن تقود إلى تفكك النسيج الاجتماعي في ليبيا، لهذا فإنه لزاماً على هذه الدراسة متابعة وفهم النسق الذي تنتهجه مصادر التنشئة الرئيسة، لوضع النشء على المسار الصحيح في فهم القيم والتمييز بينها، حتى تكون المنظومة القيمية لمجتمعنا في مأمن من أي اختراق من القيم الدخيلة المشوهة لقيم مجتمعنا، والمؤثرة بشكل مباشر في تفكك نسيج بلادنا.

وبما أن هذه الدراسة قد ركزت على أهم الجوانب والمؤشرات التي من شأنها أن تربك التسلسل القيمي في بلادنا، منوهة إلى بعض الشواهد القيمية التي أربكت السلم القيمي، فإن هذا قد انعكس وبشكل سلبي على نسيج المجتمع، كما ستتعرض الدراسة إلى أهم

مصادر التنشئة الاجتماعية التي يكون فيها التأهيل مرتبطاً كذلك بالحفاظ على تسلسل القيم، مع الإشارة إلى الآثار التي قد تحدث من اضطراب القيم على مصادر التنشئة، والذي ينعكس بدوره على نسيج المجتمع.

1.2. مشكلة الدراسة:

لا شك أن تفكك النسيج الاجتماعي بات من المشكلات التي أصبحت مثار جدل عند الباحثين في كافة التخصصات، والتي اتجهت أغلبها نحو هدف واحد ألا وهو محاولة معرفة الأسباب الكامنة وراء هذا التفكك، ومحاولة وضع السبل الناجعة لعلاجه.

إذا ما نظرنا إلى أي قيمة خلقية في مجتمعنا الليبي وحاولنا أن نقيمها في مرحلة تاريخية قديمة، ثم قمنا بمقارنتها بنفس القيمة الخلقية في عصرنا الحالي، فإن "تقدير" أو "تقييم" هذه القيمة الخلقية سيكون مختلفاً دون أي شك.

ولكن السؤال الذي يراودنا هنا، هل تكون القيم الخلقية مؤثرة على النسيج الاجتماعي؟.

1.3. الهدف العام:

محاولة الوقوف على طبيعة العلاقة بين القيم الخلقية والنسيج الاجتماعي.

1.4. منهج الدراسة:

سيستخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي، مستعيناً بإحدى عمليتيه النقد أو التقويم، والتي يتم من خلالهما رصد وتتبع كافة السبل التي قد تعيق تماسك النسيج الاجتماعي في ليبيا، ولدعم ذلك سيستخدم الباحث أيضاً المنهج التاريخي، وذلك بغية تتبع بعض الظروف التي قد يستشهد بها الباحث لدعم تبريراته.

2. تحديد المصطلحات:

2.1. **معنى الاضطراب:** اضطراب أسم، جمعها اضطرابات، مصدرها اضطرب، وهي تذل على حالة عدم الاستقرار، وفوضه وبلبلة، صخب وجلبة، ويقال الأمر اختل اضطرب.

2.2. معنى " القيم لغة ": القيمة: بالكسر مفرد " قيم من " قوم " و " قام المتاع بكذا أي تعدّلت قيمته به ".[1] والقيمة: الثمن الذي يقوم به المتاع، أي يقوم مقامه، والجمع: القيم، وقومت المتاع: جعلت له قيمة.[2] والقيمة في اللغة تأتي بمعان عدة: تأتي بمعنى التقدير، فقيمة هذه السلعة كذا، أي تقديرها كذا.

وتأتي بمعنى الثبات على أمر، نقول فلان ماله قيمة، أي ماله ثبات على الأمر.

وتأتي بمعنى الاستقامة والاعتدال، يقول تعالى (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ) [3] أي يهدي للأمور الأكثر قيمة، " أي للأكثر استقامة ".

2.3. تعريف القيمة اصطلاحاً:

نظراً لأن مصطلح " القيمة " يدخل في كثير من المجالات، فقد تنوعت المعاني الاصطلاحية له بحسب المجال الذي يدرسه، وبحسب النظرة إليه، إلا أن ما يهم الباحث هنا هو إظهار المعنى الاصطلاحي العام لهذا المفهوم حتى لا تتسع الدائرة ونبتعد عن الغاية المقصودة في هذه الدراسة.

عليه فإن القيمة هي. " مجموعة من القوانين والمقاييس تنشأ في جماعةٍ ما، ويتخذون منها معايير للحكم على الأعمال والأفعال المادية والمعنوية، وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بحيث يصبح لها صفة الإلزام والضرورة والعمومية، وأي خروج عليها أو انحراف على اتجاهاتها يصبح خروجاً عن مبادئ الجماعة وأهدافها ومثلها العليا.[4]

2.4. التفكك لغة: تفكك فعل يتفكك، تفككاً، فهو متفكك. ويقال تفككت الآلة: انفصلت أجزاؤها، ويقال أيضاً تفككت شخصيته: أي ضعفت، وتفكك في مشيته: تكسّر فيها، أضطرب، وقد يقال عن (تفكك) هناك تفكك جمل الكاتب وأفكاره: والمقصد هنا أنها لم تكن مترابطة. ويقال أيضاً تفككت روابط الصداقة، أي أنحلت.* والفك في جميع التعريفات اللغوية ما أشرنا إليها وما لم نشر، قد يكون المعنى فيه يدل دلالة سلبية، كقولهم فككت المشتبكين أي فصلتهما عن بعضهما البعض، وكذلك في

القول فكت يده فكاً إذا أزال المفصل،** وقد يكون المعنى من الفك في عبارة ما يدل دلالة إيجابية كقولهم (فك الرقبة) أي عتقها وحررها من الرق أو العبودية، والمقصد هنا أن مفهوم (التفكك) عندما اقترن مع عبارة "النسيج الاجتماعي"، بات المعنى الدلالي منه سلبي.

2.5. **التفكك اصطلاحا:** هو انهيار وحدة اجتماعية وتداعي بنائها، واختلال وظائفها، وتدهور نظامها، سواء أن كانت هذه الوحدة شخص، أو جماعة، أو مؤسسة، أو أمة بأسرها، وهو عكس الترابط والتماسك.[5]

2.6. **النسيج لغة:** نسج الثوب ينسجه فهو نسّاج، والنسج ضم الشيء إلى الشيء، فيقال نسجه ينسجه نسجاً، فانتسج ونسجت الريح التراب تنسجه نسجاً: سحبت بعضه إلى بعض.[6] *

بعد هذا العرض الموجز لتعريف مصطلح النسيج لغةً، ينبغي الإشارة إلى التعريف الاصطلاحي لمفهوم "النسيج الاجتماعي"، والذي يتمحور حوله الموضوع الرئيس لهذه الدراسة، رغم أن وضع تعريف اصطلاحي لمفهوم "النسيج الاجتماعي" يختلف باختلاف موضوعه وأغراضه.

2.7. **التعريف الاصطلاحي للنسيج الاجتماعي:**

ومما قيل في تعريفه، هي تلك الممارسات التي يشيع اعتقاد المجتمع بأنها مرغوبة، أو تستحق التقدير، مثل الأمانة، والتعاون، ومع أن قيماً كثيرة يشيع استخدامها بشكل مشترك، فلا يشترط أن يتمسك كل فرد بها، أي: أنه لا يشترط أن تتماثل القيم الشخصية مع القيم الاجتماعية.[7] أو هي التي تتضمن مفاهيم، وأعرافاً وتقاليد، يتوقع المجتمع أن يعتنقها أعضاؤها ويتبعوها، وهي بذلك تحدد ما يعد سلوكاً مقبولاً أو غير مقبول، من وجهة نظر المجتمع.[8]

لقد وجد علماء الاجتماع صعوبة كبيرة في تعريف تفكك النسيج الاجتماعي، ولكن هذه الصعوبة تتضاءل في هذه الأيام على الرغم من عدم الاتفاق على استخدام موحد لها، ولكن أكبر الاستخدامات قبولاً هي التي ترى:"أن تفكك النسيج الاجتماعي أو فشله في تحديد مراكز الأفراد وأدوارهم المترابطة بشكل يؤدي إلى بلوغهم أهذافهم بصورة مرضية"[9].

وفق هذا الطرح المفاهيمي فإن الاتساق والانضباط القيمي للفرد والمجتمع هو الذي يحدد الكيفية التي يكون عليها "النسيج الاجتماعي" لأي مجتمع، متفككة ومهترئة، أو متماسكة ومتعاضدة.

2.8. **تعريف التفكك الاجتماعي**: هو اتجاه المجتمع إلى التدهور أو التفكك مع مرور الوقت، وقد يكون ذلك نتيجة تردي أو انهيار أنظمة الدعم الاجتماعي التقليدية، والتي تتمثل في القيم.

وبما أن القيم هي السبب الرئيس في التفكك الاجتماعي، فإنه يتحتم على هذه الدراسة التعرض إلى المؤشرات التي تجعل القيم في حالة اضطراب وخلل، وذلك لمعرفة الأسباب الرئيسة الكامنة وراء تفكك النسيج الاجتماعي.

3. مؤشرات الاضطراب القيمي:

يتميز عالم القيم في جميع المجالات والعلوم بما يعرف بالاستقطاب "أي وجود قطبين أو محورين متنافرين، أحداهما يعد قيمة إيجابية، والآخر يعد قيمة سلبية، وبمعنى آخر هناك قيمة وقيمة معارضة للقيمة الأولى، ومثل هذا الاستقطاب يبدو واضحا من خلال التعارض والتنافر بين كل من الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والحسن والقبيح، الحلال والحرام، الإيمان والشرك، وهكذا في جميع المجالات هناك دائما ما هو مرغوب فيه ومطلوب، وما ليس مرغوب فيه وغير مطلوب، إلا أن المسألة ليست بهذه البساطة كما تبدو لنا هنا، لأن المسألة ليست مجرد صيغة شكلية أو جداول صدق وكذب، نستطيع

بسهولة الحكم عليها أو لها، ذلك أن القيم** تتصل بالمثل العليا طالما إنها صيغ أخلاقية، إلا أن مضمونها يرتبط على نحو أو آخر بالواقع.

أي أن هناك تعارض بين المثل العليا كمثل عليا وبين الواقع، هذا يثير الكثير من المشاكل الفكرية والأخلاقية سواء من حيث المصدر أو طبيعة القيم، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، نجد أن أصحاب الاتجاه الواحد أو القيم ذات الاتجاه الواحد تسودها تعارضات مثيرة وشائكة، فمثلاً في مجال القول بالواقع للقيم، نجد التعارض بين أصحاب القيمة الواحدة، بل وفي أحيان كثيرة، نجد أن التعارض بين أصحاب هذه القيمة الواحدة أشد من التعارض بين أصحاب قيمتين متعارضتين، وهذا بدوره سيؤدي إلى الاضطراب القيمي، الذي بدوره سيؤدي إلى تكون سلوك انحرافي يظهر على بعض الأفراد، حتى تتسع وتتشعب لتتحول إلى مشكلات اجتماعية، مما ينتج عن ذلك تفكك في النسيج الأسري ومن تم في النسيج الاجتماعي.

ففي مجال الدين نجد التعارض على تفسير الدين ما بين شكل الدين وبين مضمونه أي بين الفقهاء والصوفية، أي بين الظاهريين–ظاهر النص–وبين العقليين.[10]

أما على الصعيد السياسي فنجد الصراع بين العروبة والصهيونية، والذي هو قيمة، ولكننا نجد أصحاب الفكر الواحد والانتماء الواحد يتباعدون فيما كان التقارب مع أعدائهم، حيث نجدهم يعقدون اتفاقيات سلام مع عدوهم، ويعدونه سلام دائم وأبدي، وأنه لا حرب بينهم لأنهم يكرهون الحرب، وفي ذات الوقت ينسون ذلك، ولا يجدون أنفسهم متناقضين حينما يشنون الحرب على حلفائهم وأصحاب عقيدتهم في الوحدة، فسلام دائم مع العدو الصهيوني وحرب قدرة مع إخوتهم في القيم والمعتقد.[11]

هذا يدل على أن ما في الواقع من قيم إذ تصبح القيمة الواحدة متعارضة مع ذاتها، وفي نفس الوقت تتقارب مع نقيضها.

وفق هذا الطرح فإن من تبنوا هذا الاتجاه يرون بأن القيم نسبية.

وبهذا يبدوا للباحث أن التوافق والتعايش بين القيم، لا يعني نفي نوعيتها، أو وجود حالة من عدم اللاتمايز بينها، إذ لا نزال ندرك بأن عالم القيم يؤلف مجموعات منفصلة ومتضادة أحياناً، أو على الأقل هناك بعض القيم تعلو قيماً أخرى تقابلها، ولكن لا يمكن أن تساويها، فمثلاً تحمل الفاقة أشرف من قبول الرشوة، أو خيانة الوطن، أو أن يفقد الوطن الملايين من أبنائه أهون من أن يتنازل عن شبر واحد من أرضه، "أن تأكل لتعيش أفضل من أن تعيش لتأكل" هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن هناك تسلسل بين القيم، إذ أن هناك قيم أصلية أو قيم غاية، كما أن هناك قيم مشتقة أو قيم وسيلة.

إن عدم التميز بين القيم من حيث العلو والتسلسل هو الذي يؤدي إلى الاضطراب القيمي، أو فقدان القدرة على حساب الميزان القيمي، فلا يصح إطلاقاً أن تصبح القيم الأصلية " الغائية" قيم وسيلة " مشتقة"، فالحرية مثلاً هي قيمة أصلية، ولكن لا يجب اتخاذها ذريعة لارتكاب الجرائم.

كذلك الدين قيمة أصلية لا يمكن اتخاذها ذريعة لكبت حرية الفكر والتفكير، كما بدا واضحا في أمثلة عديدة من تاريخ الإنساني والعصور الوسطى، والحركات الدينية المتطرفة التي استشرت في بلدنا هذه الأيام خير مثال على هذا، لدالك لا ينبغي الخلط بين القيمة الأصلية والقيمة المشتقة، فإذا ما فعلنا ذلك فنحن بذلك نطبق ما نادى به "مكيافيلي" من أن الغاية تبرر الوسيلة"، ربما يكون هذا مفيداً في السياسة فإنه من الناحية الأخلاقية مرفوض، لأننا إذ ذاك نحول القيمة "الغائية" سعادة الإنسان، إلى قيمة وسيلة تحارب هذا الإنسان بهدوء وبراحة بال، وكذلك فإن هذا لا يعني أن تتحول القيم المشتقة إلى قيم غاية، لأنه إذا كان تحول القيم الأصلية إلى قيم مشتقة خطأ أخلاقي، فأن العكس كذلك خطأ، لأن القيم المشتقة لا يصح أن تتحول إلى غايات، فالمال قيمة مشتقة وجد من أجل سعادة الإنسان، أما أن يتحول هو في ذاته إلى غاية فهذا خطأ، لأن الإنسان يبدأ بجمع المال للانتفاع به، ثم يتحول الأمر إلى جمع المال للمال ذاته، والمحافظة عليه وعدم إنفاقه، والانتفاع به.

إذاً_ وكما بدا لنا فيما سبق_ أن من أهم أسباب تدهور الأخلاق والذي سيؤدي بدوره إلى تفكك النسيج الاجتماعي، راجع إلى تبدل القيم أي أن تصبح القيمة الأصلية قيمة مشتقة، والعكس صحيح أيضاً- كذلك عدم مراعاة تسلسل القيم يؤدي إلى سوء التقدير الأخلاقي، أو الفعل الخلقي، إذن هناك- كما قلنا- تسلسل بين القيم من أعلى إلى الأدنى.

يرى الباحث أن هذا التمييز بين القيم "الأصلية" و قيم "الوسيلة" لن يصل له الفرد في مجتمعه إلاّ عن طريق التوجيه والدعم عبر مصادر التنشئة المختلفة (الأسرة، أو ، أو المدرسة، أو المسجد)[12] إلى غير ذلك من المصادر التي قد تختلف من مجتمع إلى آخر وذلك حسب ثقافة وقيم ذلك المجتمع، فهذه المصادر تراعي الفرد، وتمنحه القدرة على فهم أو معرفة البناء القيمي السليم، ذلك أن من بين أدوار هذه المصادر، تنشئة الفرد على هذا التمييز القيمي، فهي لن تحقق النجاح فيما يتعلق بوضع الفرد في حالة التمييز القيمي لوحدها وبدون تكامل الأدوار التي تقوم بها المصادر الأخرى، فالأسرة في البيت تقوم بزرع البدور الأولى لهذا التمييز القيمي بينما هو أصلي وما هو مشتق، بينما تقوم المدرسة، والمسجد، في تدعيم ومراعاة هذه البدور حتى تنموا وترسخ في قناعات الأفراد، وتصبح جزءاً من منظومتهم القيمية الخلقية في المجتمعات التي يعيشون فيها.

بهذا فقد تحققت خاصية التلقائية، أي الإلزام الجمعي، للقيم لدى جميع الأفراد في المجتمع.[13] وفق هذه التنشئة القيمية فإن النسيج الاجتماعي سيكون في مأمن من أي تفكك أو خلل قيمي، لأنه إذا كان هناك أي تقصير لأي مصدر من مصادر التنشئة، سيؤدي حتماً إلى الاضطراب أو الخلل في تقدير الميزان القيمي لأفراد المجتمع، والذي ينشئ عنه أن يصبح لكل فرد قيمه الخاصة به، فتختل وتضطرب القيم، وتتلاشى الروابط، ويهتري النسيج الاجتماعي للمجتمع.

ولكن السؤل الذي يفرض نفسه في هذه الدراسة، كيف يمكن أن تكون التنشئة الأسرية في مجتمعنا غير منسجمة وهذا السلم القيمي؟.

4. اختلال دور الأسرة وتفكك النسيج الاجتماعي:

من المعروف وفي الحالة الطبيعية لأي مجتمع أن يكون للأسرة البداية الأولى في إعداد النشء إلى الحياة الاجتماعية، وتلقينه بشكل مباشر أو غير مباشر للأدوار التي سيؤذيها في حياته، والتي بطبيعة الحال تحمل أنواعاً متعددة من القيم، شأن ذلك شأن المصادر التربوية الأخرى في المجتمع، غير أن دور الأسرة يكون أعمق وأكبر من المصادر الأخرى في التنشئة، حيث تعد التنشئة الاجتماعية للطفل من الوظائف الأساسية للأسرة، إذ تلعب الأسرة دوراً مهماً في التنشئة، خاصة في السنوات الأولى وهي المرحلة التي يقضيها الطفل في المنزل. والطفل يولد وهو خالي من القيم والمعايير التي توجه سلوكه تجاه غيره، إلاّ أن الأسرة تغذيه بالقيم التي تعتنقها، والتي تساعده على أن يشق طريقه في الحياة، وتكوّن لديه نمط التفكير، وهي التي تفسر له هذه القيم، وتضع له مسلكاً لتطبيقها، حيث يمتص الطفل هذه القيم من الأسرة عن طريق الاحترام أو الازدراء لأنماط السلوك والقيم التي يأخذها من الأسرة، وهو في كل هذا يمتص القيم التي تؤثر فيه، وفي أحكامه وحل مشكلاته.[14]

ويشير علماء الاجتماع إلى أن التنشئة الاجتماعية باعتبارها الوظيفة الوحيدة والمهمة التي تمس النظام الأسري، "حيث أن خصائص عملية التنشئة تعكس اتجاهات القائمين عليها، وتعني عملية الوظيفة لعملية للتنشئة الاجتماعية بتدريب الطفل على أنماط معينة من السلوك، أما وظيفتها الكامنة فتتضح في أهداف عدة...أهمها: توحد الطفل مع مجموعة من الأنماط الثقافية، مثل القيم الاجتماعية، والجمالية والأخلاقية، كما تهدف إلى تعليم الطفل مهارات ضرورية تتفق وظروف مجتمعه.[15]

وحتى نقف على المخاطر الناجمة عن اختلال دور الأسرة في عملية تنشئة الأبناء، وما يؤول عن ذلك من اضطراب قيمي، والذي ينجم عنه تفكك للأسرة وما يتبعه من تفكك للنسيج الاجتماعي، لا بد أن نشير هنا إلى أن القيم التي يكتسبها الأطفال من الأبوين لكي تكون فاعلة ومحققة لترابط وتماسك نسيج الأسرة، والذي يؤدي بدوره إلى

ترابط النسيج المجتمعي، فإن هذه القيم لا بد أن تكون ذات نسق منظم وغير مضطربة، فالقيم التي يتعلمها الأبناء من الأبوين لا بد أن تكون في إطار التسلسل القيمي، فلا يتعلم الأبناء القيم من الأبوين ثم يصطدمون بتغليب أحد الأبوين للقيم المشتقة على القيم الأصلية، مما يجعل الأبناء يفتقدون الثقة بما يأخذونه من الآباء، وبهذا يكونون بيئة مواتية لتقبل قيم دخيلة عليهم من قنوات كمصادر التواصل الاجتماعي مثلاً، فمن ذلك ينشأ الصراع والتوتر الذي سيؤدي إلى التفكك. فاختلاف العقيدة السياسية مثلاً تعد سبباً مباشراً لعدد من التوترات يمكن أن تؤدي إلى انحلال الأسرة ما لم يتوفر للزوجين أو أحدهما طاقة إيجابية على التكيف.[16]

من هذا المنطلق فإن التغيير السياسي الذي مرت به ليبيا في سنة 2011 قد صاحبه على سبيل المثال اختلافات سياسية تصل إلى درجة القطيعة بين أفراد الأسرة الواحدة، وذلك لسوء الفهم للكيفية التي تنتظم به القيم، وعدم توفر التربية الصحيحة على النسق الذي ينبغي أن تكون عليه القيم الأصلية والمشتقة، حيث نجد في كثير من الحالات التي يختلف فيها الأبوين في معتقد أو قيمة سياسية تتطور إلى درجة الخلاف ويصبح كل من الطرفين ينظر إلى قيمته التي يتبناها أنها هي القيمة الأجدر بأن تكون هي القيمة الأصلية، وأن ما عداها يعد قيمة مشتقة، لذلك فإن هذا السلوك وهذه الطريقة تعد ضبطاً سلبياً للقيم تنتقل للأبناء ومن ثم ستنتشر في المجتمع، وذلك بحسب تغلل الاضطراب القيمي بين الأسر.

إن انتماء أفراد المجتمع الليبي إلى فئة أو حزب أو حركة سياسية لأجل استخدام أي من هذه الانتماءات السالفة الذكر لخدمة الوطن بتجرد تام عن المصلحة الشخصية فهذا يعتبر الوضع السليم والتوازن الصحيح للميزان القيمي، أما إذا وظف كل واحد من الأفراد هذه الانتماءات لأجل قيمته الشخصية البعيدة عن الميزان القيمي فهذا يعد أمراً ينبئ بخطر على نسيج مجتمعنا من التفكك.

لا شك أن هناك مصادر متعددة لتهيئة النشء في المجتمع، وأن هذه المصادر تختلف من مجتمع لآخر، وذلك حسب ثقافة المجتمع وقدرته، غير أن دور هذه المصادر يتفاوت في

عملية التنشئة. ولكن هل تعد الأسرة هي المصدر الأجدر لوضع النشء في المسار الصحيح لفهم السلم القيمي، أم أن هناك مصادر أخرى لا تقل أهمية في تأصيل هذا الميزان القيمي؟.

5. الدين كمصدر مؤثر في النسيج المجتمعي:

لا يخفى على أحد أن مجتمعنا الليبي هو مجتمع مسلم يعتمد في كثير من الأحيان إلى ترسيخ الكثير من القيم المجتمعية عن طريق المصدر الديني، فهذا المصدر يعد داعماً قوياً وضرورياً للأسرة، شريطة أن يتم توظيفه بالشكل السليم، حيث تُلقى هذه المهمة على عاتق الدعاة وشيوخ المساجد، غير أن القيم التي تُعلّم عن طريق المصدر الديني ينبغي أن تكون على قدر من المسئولية في فهم السياق الذي يجب أن يكون عليه السلّم القيمي، والذي يضفيه هذا المصدر الديني إلى النشء في المجتمع الليبي.

يتفق الاجتماعيون والتربويون على أن المراكز الدينية (المساجد) هي أحد أهم مصادر التنشئة في مجتمعنا، حيث تقوم بتنشئة الأفراد، وتثقيفهم وتعليمهم القيم والسلوك المقبول اجتماعيا، إضافة إلى تلقينهم المعارف والعقائد التي تشكل هويتهم الثقافية والحضارية ويقوم عليها أمر دينهم [17]

أشرنا قبل قليل أن كون وجود القيم في شكل تسلسلي لا يعني أن القيم التي تتواجد كقيم أصلية هي التي تكون الأفضل في السلم القيمي، ولا يعني بالضرورة أن القيم المشتقة تكون هي الأسوأ في هذا السلم.

أي أن هذا الترتيب ليس أخلاقياً، بمعنى أن أعلى القيم ليست بالضرورة هي أفضل الأفعال الأخلاقية، أو أن أدناها هو أسوء الأفعال الأخلاقية، كلا إنما المقصود بالتسلسل هنا هو التسلسل الوجودي المعرفي، بمعنى أن هذا التسلسل يتحدد بمكانة الإنسان إزاء هذه القيم ومدى قدرته في التعامل والتعايش معها.[18]

كثيراً ما يحصل هذا الفهم الخاطئ في التعاطي مع القيم الأخلاقية في مجال المصدر الديني للتنشئة، حيث نجد في كثير من الأحيان وعند بعض الدعاة سوء فهم للتقدير الأخلاقي،

فيتعاطون مع بعض القيم الدينية لدرجة جعلها تطغى على وضع قيم أخرى، بحجة أن هذه القيم التي يُدْعى لها إنما هي القيم الأصلية.

هنا يبرز لنا وفي هذا المجال أو المصدر (الديني) مسألة التعارض على تفسير الدين ما بين شكل الدين وبين مضمونه، فمثلاً بين الفقهاء والصوفية، أي بين الظاهريين- ظاهر النص- وبين العقليين.[19]

حتى وإن كان تفريط أو مغالاة بعض الدعاة في الدعوة والترغيب للقيم الأصلية قد يجعلها تأخذ مكان القيم المشتقة في السلم القيمي وتجعلها مضطربة، وذلك هو ما حصل لأفراد المجتمع الليبي في الوقت الحاضر، حيث تم فيه المبالغة في الدعوة للقيم الأصلية كالحرية مثلاً، مما جعلها تتجاوز مجالها في السلم القيمي، وأصبحت الحرية وسيلة للتعدي (من قبل فئة أو فرد أياً كانت التسمية) على حرية وحقوق الآخرين، مما نتج عن ذلك خلل في التقدير الأخلاقي، والذي سينتج عنه ودون شك تفكك في نسيج المجتمع، ذلك لأن المجتمع قائم على حدود قيمية رُسمت لتجعل أفراده على معرفة مسبقة بتعاملاتهم مع كل ما يدور حولهم.

وجدير بالذكر أن هذه المغالاة في الدعوة لبعض القيم قد تسللت ولاقت صداً عند الكثير من الشباب الذين لا يمتلكون قدرة على تقييم الأفعال الأخلاقية، وعلى الفهم الصحيح للقيم الدينية، وعليه فقد أصبحت هذه القيم التي استفحلت في المجتمع سببا رئساً في اتساع شرخ النسيج الاجتماعي.

لعل السبب الرئيس من ذلك هو مصادرة حرية الدعوة إلى الله في كثير من ديار المسلمين، وأملت العنان لدعاة العلمانية، مما جعل كثيراً من الدعاة يلجأ إلى العمل السري، وربما مال إلى العنف وتكرر ذلك حتى صار منهجاً له[20]. وانتشرت المبازل، واتسع نطاق الفساد والتحلل الأخلاقي، وانتشرت الرذائل والفواحش، وانتهكت القيم الأخلاقية النبيلة، وتدخل الإعلام والصحافة إلى إثارة الناس، مستخدمة أسلوب الهزأ والسخرية بأمور الدين، ثم تهويلها وتضخيمها، فاندفع بعض الناس بجاهلية المجتمعات وتكفير بعضها.[21]

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه في هذه الدراسة، هل يكون للإعلام دور في تفكك النسيج الاجتماعي؟.

6. الإعلام وتفكك النسيج الاجتماعي:

لعب الإعلام بشكل عام ردحاً من الزمن دوراً كبيراً ولا سيما بلادنا في التأثير على تربية النشء وسائر أفراد المجتمع، ولكن نتيجة لتنوع وسائل الإعلام اليوم أنضاف إلى الإعلام المكتوب وسائل جديدة، كالراديو والتلفزيون، "وقد كان لهذين المصدرين دور عظيم في التثقيف والتربية ورفع مستوى سلوكيات الأفراد، إلى أن حلت الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي، فعظم الخطر واتجهت القيم إلى منحدر ينبئ بشرخ في نسيج المجتمع".[22]

لذلك فإنه لا يختلف اثنان بأنه لم تعد وسائل الإعلام مجرد (مساهم) صغير في عملية التنشئة الاجتماعية، بل أصبحت لاعباً رئيساً في عملية تشكيل وإعادة صياغة القيم...لقد دخلت وسائل الإعلام على كل بيت، وخاطبت الصغير والكبير، واقتحمت كل ميدان الفكر، مروراً بالثقافة إلى الترفيه والتسلية،...لقد استهدفت وسائل الإعلام بأسلوب جذاب العقول والعواطف، بل وحتى الغرائز، في المقابل استسلم (الإنسان) في مجتمعنا، وبالتالي سلّم أطفاله، لهذا (المربي الإلكتروني) الذي صار يقوم- إلى حد كبير- بدور (الأب والأم والمدرسة)، وفي أحيان كثيرة الدعاة والمشايخ الدين تؤخذ عنهم الفتوى.[23]

فإذا كان التلفزيون المحلي قابلاً للتحكم والمراقبة، فإن الفضائيات ومواقع التواصل المختلفة لا يمكن مراقبتها لأنها متحررة من القيود التي تفرضها الدول الملتزمة والمحافظة على ضبط قيمها الاجتماعية، وغدت الشاشة ومواقع التواصل مسرحاً للناشئة والكبار والمحافظين و المتحررين، وصار أمر ضبط وسائل الإعلام ومراقبتها، والمحافظة على قيم المجتمع أمراً عسيراً.

لا شك أن وسائل الإعلام باتت تقدم المرأة الليبية بقيم تختلف عن النسق القيمي الذي كانت عليه القيم في الإطار المعرفي القديم لمجتمعنا الليبي، "وتلجأ هذه الوسائل في سبيل

ذلك إلى استخدام قوالب جذابة (تعرض) من خلالها المرأة الليبية. فهي ناجحة لأنها متحررة من ضوابط القيم وتسلسلها، وهي محط الأنظار لأنها استغلت النواحي الجمالية في جسدها، وهي مشهورة لأنها عرف عنها مقاومة الأعراف والتقاليد، وهكذا تتم عملية التغير المعرفي لقيم المجتمع، والذي يتبعه تفكك في نسيج المجتمع عبر عملية طويلة تتنوع فيها جزيئات التكون المعرفي للقيم الجديدة التي يراد إحلالها محل معرفة القيم القديمة".[24]

إن الاضطراب القيمي الذي يعيشه الإنسان العربي خلق منه بالنتيجة كائناً غير مستقر الأنساق القيمية، وبالتالي مضطرب الشخصية، فلا هو بالتقليدي ولا هو بالحداثي.[25]

ويقول محمود الداودي عن هذا: " إن تخلخل القيم في مجتمعات الوطن العربي يقود إلى ما سماه علماء الاجتماع المعاصرون بالشخصية المضطربة، وبالتالي فإن الشخصية المضطربة تصبح بنيتها أكثر تفككاً، واستعداداً لتشرب القيم الأجنبية الوافدة، وذلك بدوره يؤدي إلى حالة من التذبذب على مستوى الانتماء الثقافي، وهذا الوضع يقود صاحبه إلى ما سمته عالمته الإنثروبولوجيا الأمريكية مارغريد ميد: عهر الهوية"[26]

فلو أننا وجهنا انتباهنا إلى ما تصوره تلك المسلسلات التي تعرض في القنوات الفضائية، لثقافة قيمية من مجتمعات تختلف عن مجتمعنا في الإطار المعرفي للقيم، حيث نجد أن هذه المسلسلات تشير إلى العلاقة بين المرأة والرجل من خلال رؤية (عصرية)، إضافة إلى ما يوجد في بعض المقالات التي تتحدث عن قصة نجاح فتاة تغلبت على ظروفها، فتمردت على تقاليدها وقيمها، وسافرت وحدها خارج الوطن، حيث رجعت بأعلى الشهادات، ثم هناك أخبار تشيد عن أنجاز نسائي، حيث حصدت النساء الألمانيات أو الأمريكيات الميداليات الذهبية في مسابقات العدو للمسافات القصيرة والسباحة الحرة، بينما فشل الرجل في تحقيق أي شيء.

وهكذا تتجمع جزئيات المعرفة القيمية الجديدة، لوضع المرأة بين حياة عصرية، وتمرد على التقاليد وقيم المجتمع، وانجازات تفوقت فيها على الرجال لتشكل إطاراً جديداً للقيم تحل شيئاً فشيئاً محل الإطار المرجعي للقيم القديمة.

ينبغي الإشارة هنا إلى أن المصدر الإعلامي عندما يكون بهذا النسق، لا يؤدي إلى اضطراب الميزان القيمي فحسب، بل قد يتطور الأمر إلى أن تُستبدل القاعدة المعرفية للقيم، وهذا الأمر سيزيد من اتساع دائرة تفكك النسيج الاجتماعي.

لا شك أن ذلك الابتذال القيمي لمجتمعنا نتلقاه من مختلف وسائل الإعلام الغربي، بمختلف أشكاله، والتي تؤدي بالضرورة الحتمية إلى عملية اختراق القيم، والذي يعرف على أنه: "حركة انتقال القيم والعادات الغربية بشكل مكثف وغير مسيطر عليه إلى المجتمعات العربية، وما يماثلها في دول العالم الثالث، كما يمثل سياسة وإستراتيجية للتدخل في شؤون الغير بقصد التأثير في قيمه وسلوكياتهم ومعتقداتهم، تدخلاً جزئياً أو كلياً، بمختلف الوسائل".[27]

تشير دراسات كثيرة ما يمثله الإعلام في بعض الأحيان من دور سلبي على نسيج المجتمع، ودلك بنشر القيم السلبية، التي من شأنها أن تزيد من اهتراء ذلك النسيج المجتمعي، فمن الاختراق الإعلامي للوطن العربي عامة وليبيا خاصة نجد أن أكثر القيم السلبية بروزاً في المسلسلات الأجنبية التي تعرض على شاشات التلفزيونات العربية هي: (الفردية، القسوة، العنف، التعصب العدوانية، الخيانة، السرقة، الخداع).[28] وأن تلك المسلسلات الأجنبية تروج إلى الانحلال، كإقامة علاقة جنسية غير شرعية بين الجنسين، أو جواز المثليين، والذي يروج له من قبل شبكات التواصل الاجتماعي.، "كل هذا – وكما بدأ للباحث– ينشأ وفي البداية نتيجة لتدهور الأخلاق وعدم القدرة على تقييم الفعل الخير من الشرير، والذي يعود سببه إلى تبدل القيم، أي أن تصبح القيم (الأصلية) قيمة (مشتقة) والعكس صحيح أيضاً، كذلك عدم مراعاة تسلسل القيم يؤدي إلى سؤ التقدير الأخلاقي أو الفعل الخلقي،"[29] ونتيجة لهذا فإنه لن يبقى أي شك بما سيحدث للنسيج المجتمعي في بلادنا من تفكك، إذا ما قد اضطربت القيم، ووصلت إلى مرحلة الابتذال، خاصة وأن القيم هي القاعدة الأساسية التي تتم عن طريقها كافة التعاملات بين أفراد المجتمع، فإذا

اختلت هذه القاعدة أصبح التعامل بين أفراد المجتمع كالتعامل الذي يحصل بين حيوانات الغابة، لا تحكمها إلاّ الغريزة.

7. الخاتمة

إن إي محاولة للحفاظ على نسيج مجتمعنا من التفكك، لن تكون ناجعة إلاّ إذا وضعت في أهم اعتباراتها إرساء خطة لمصادر التنشئة الاجتماعية تضمن فيها سير كافة تلك المصادر على نفس النسق في الحفاظ على ضبط الميزان القيمي للمجتمع.

فمن الأخطاء التي لا يُلقي لها بال كل من يكون له دور في بناء وترسيخ المنظومة القيمية في مجتمعنا، هو عدم الحرص على كافة التفاصيل الدقيقة المتعلقة بترسيخ القيم، فترسيخ منظومة القيم يبدو أنه لن يكون ناجحا إلا بتكاثف مصادر التنشئة الأكثر تأثيراً في مجتمعنا الليبي، تلك المصادر التي يبدو أنها نست أو تناست دورها المنوط بها في تأهيل النشء على قيم مجتمعه التي تتوافق مع معتقداته ودينه، رافضة إي ابتذال جزئي أو كلي، من شأنه أن يشوه تسلسل القيم، ذلك التشويه القيمي الذي أبتولية به بلادنا من خلال الكثير من القنوات السلبية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، إن هذه القنوات تعمل كأنها ماسحة ومدمرة لمنظومة القيم في مجتمعنا، حيث (تسلخ قيم المجتمع) بشكل تدريجي ودون أن يشعر به الكثير من الذين لا يتفطنون من هذا الخطر المدمر للوطن، وهو دمار يفوق مخاطر تلك القنابل والقذائف التي تنسف بلادنا بين الفينة والأخرى، بل إن خطر هذا الدمار المادي الناشئ عن الحرب لن يكون له وجود لولا الخلل الذي أصيبت به القيم في مجتمعنا.

وبهذا فإنه لن يكون هناك أي شك فيما قد يسببه اضطراب تسلسل الميزان القيمي من تشويه لمعالم الحياة الاجتماعية، ذلك التشويه الذي قد نراه في كافة القيم الأصلية أو المشتقة، والذي سيربك بطبيعة الحال كل المصادر التربوية التي يعتمد عليها المجتمع في إرساء دعائم القيم والسلوك، حيث ينتج عن هذا تفكك النسيج الاجتماعي للبلاد.

الهوامش:

[1] الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس، ليبيا، الدار العربية للكتاب،1980-1981، ص517.

[2] السيد أحمد الطهطاوي، القيم التربوية في القصص القرآني، مصر، دار الفكر العربي، 1996، ص37

[3] - سورة الإسراء: الآية 9.

[4]- أحمد لطفي بركات، في فلسفة التربية، الرياض، دار المريخ، 1986.

[*] راجع قاموس المعاني الجامع www.almaany.com

[**] راجع قاموس للسان العرب، نفس المرجع السابق.

[5] نخبة من الأساتذة في علم الاجتماع، معجم العلوم الاجتماعية، مصر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص168.

[6] الزاوي، مختار القاموس

[*] راجع قاموس لسان العرب نفس المرجع.

[7]- أحمد السيد مصطفى، الفضائيات العربية ودورها في تشكيل السلوك الإنساني العرب، المؤتمر السنوي السادس لاستراتيجيات الإصلاح ومنظومة القيم، مصر، 2008، ص268.

[8]- المرجع السابق، ص268.

[9]- محمد عاطف غيث، المشاكل الاجتماعية والسلوك ألانحرافي، الإسكندرية ،منتدى سور الأزبكية، بلا ت، ص88.

[**]ينبغي أن نعرف أن نسبية القيم لا يرجع لأصلها وإنما لطريقة تحيينها من طرف الأفراد، تحيينا تحكمه عوامل زمانية ومكانية وأخرى جغروثقافية، هذا يعني أن قيمة الحرية في زمننا ليست هي نفس قيمة الحرية في الزمن الماضي. راجع رسالة الماجستير هشام بن جدو: إشكالية القيمة عند لوي لافيل، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر،2011-2012،ص148.

[10]- عيسى عبدالله: قضايا فلسفية، منشورات جامعة مصراته، 2008، ص75.

[11]- عيسى عبداللة، المرجع السابق، ص75.

***** تجدر الإشارة هنا أن الباحث يرى أنه رغم تعدد مصادر التنشئة في بلادنا إلاّ أنه يرى أن أهم المصادر التي من الممكن أن تُكوّن حاجزاً مانعاً ضد أي اضطراب أو تشويه قيمي هي هذه المصادر.

[12]–رابح بن عيسى: صراع القيم بين المضامين التربوية والواقع الاجتماعي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد9، العدد1، جامعة غرداية، ص832.

***** تجدر الإشارة إلى أن هناك مجتمعات تمتلك مصادر أو بمعنى أدق (قنوات للتنشئة) غير اعتيادية، كالمنتديات والمجامع الثقافية، والتي يكون دورها داعماً لتأصيل القيم الاجتماعية، ومساعدة النشء في التمييز بين القيم الأصلية والمشتقة.

[13]–رابح بن عيسى: المرجع السابق، 831.

[14]– بربخ أشرف، القيم المتضمنة في كتابي القراءة للصفين العاشر والحادي عشر، غزة، 2000 م، ص73.

[15]– حسن مصطفى عبد المعطي، الأسرة ومشكلات الأبناء، القاهرة دار السحاب للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

[16]– محمد عاطف غيث، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،1995، ص170

[17]– محمد بن عبد الرحمن الحضيف، كيف تؤثر وسائل الإعلام؟ دراسة في النظريات والأساليب، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1998،2 ص33.

[18]– عيسى عبدالله، قضايا فلسفية، ص79–80.

[19]– المرجع السابق، ص75.

20 سالم البهساوي، لحكم وقضية تكفير المسلم، دار البحوث العلمية، ودار البشير عمان الأردن، الكويت 1985، ص21–30.

21– فهمي هويدي، الدين المنقوص، دمشق، دار المعرفة، دمشق، ص216.

22– https://www.new-educ.com

23– محمد بن عبد الرحمن الحضيف، مرجع سبق ذكره، ص34.

24– محمد بن عبد الرحمن الحضيف: مرجع سابق، ص 32–33.

25- عبدالرحمن الزرقاني ، اضطراب القيم وأثره على التنمية، المؤتمر الاقتصادي الأول للاستثمار والتنمية في منطقة الخمس، كلية الاقتصاد، جامعة المرقب 25-27 ديسمبر 2017، ص9.

[26]- محمود الداودي، بعض الجوانب الأخرى لمفهوم التخلف الآخر في الوطن العربي، الوحدة، نوفمبر 1988، ص46.

[27]- لمياء طالة، الإعلام الفضائي والتغريب الثقافي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2014، ص41.

[28]- علي محمد الحوات، قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الإعلامي في الوطن العربي، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 2005، ص88.

[29]- عيسى عبدالله قضايا فلسفية، مرجع سبق ذكره، ص79.